unesco

إحياء روح الموصل

نهضة مدينة: آمال شعب وحكاية نهوض من تحت الركام 2018-2025

©اليونسكو/ عبدالله راشد

المحتويات

تصدير بقلم المديرة العامة لليونسكو، أودري أزولاي 5

حقائق وأرقام أساسيَّة 6

نبذة تاريخية عن مبادرة اليونسكو 8

أولاً ـ التراث 10

منارة الحدباء 10

مجمع جامع النوري 12

دير سيدة الساعة 14

كنيسة الطاهرة 16

البيوت التراثية 18

ثانياً ـ الحياة الثقافية 20

إنعاش قلب المشهد الثقافي النابض بالحياة 20

ثالثاً ـ التربية والتعليم 22

إعادة بناء السلام بواسطة التعليم 22

التدريب المهني 24

©اليونسكو/ عبدالله راشد

© اليونسكو

تصدير بقلم المديرة العامة لليونسكو، أودري أزولاي

بعد أن انقضى عام على انقشاع ظلام "داعش" من سماء الموصل، اقترحت أن تنخرط اليونسكو في مبادرة طموحة تتيح للمدينة أن تنهض من تحت الركام. وكان هذا البرنامج هو الشعاع الذي انبثق في شهر نيسان/أبريل 2018 خلال المؤتمر الدولي لإعادة إعمار العراق، وكان هدفه الأساسي هو "إحياء روح الموصل"

©اليونسكو/كريستيل ألبكس

هذه الروح هي نبض مدينة تلتقي فيها الثقافات والمجتمعات، وهي بوتقة تنصهر فيها عناصر هوية العراق المتعددة، فظلّت صورة حيّة للتعايش بين مجتمعات إثنية ولغوية ودينية مختلفة، تعانق بعضها بعضاً منذ 2500 عام ونيّف

أردنا من خلال مبادرتنا أن نعيد للموصل شعلتها التي لا تخبو، كي يظل لها من اسمها نصيب، فلفظة "الموصل" باللغة العربية تعني الصلة والتقاطع والجسر

شرعنا منذ عام 2019 بتنفيذ أعمال إعمار واسعة النطاق لإعادة بناء المناظر الطبيعية والمعالم ذات القيمة الرمزية في هذه المدينة العريقة، وذلك يداً بيد مع أهالي الموصل، وبدعم مالي من دولة الإمارات العربية المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وأكثر من عشرة شُركاء دوليين آخرين

اختتمنا عملية إعادة إعمار جامع النوري الكبير، ومنارة الحدباء، وديرِ سيدة الساعة وبيت الصلاة فيها، وكنيسة الطاهرة، بالإضافة إلى 124 بيتاً تراثياً. وقد عاد ما يقرب من 170 عائلة للعيش في ديارها في المدينة القديمة، التي علت فيها أصوات الأطفال مجدداً

لكن الحجر وحده لا يقوى على إحياء روح الموصل، لذا جاءت مبادرة اليونسكو لتستثمر في التعليم والحياة الثقافية. وجدّدت أكثر من 400 فصل دراسي في المدينة وضواحيها، وزوّدت جامعة الموصل بمعدات مكتبية ووفرت لها الدعم اللازم لإنشاء قسم للسينما

وتلقى أكثر من 5000 معلم ومرب وأب وأم التدريب في مجال التربية من أجل السلام للحيلولة دون عودة التطرف العنيف. وتعلموا كيف يعيدون فتح قنوات الحوار مع الشباب المنقطعين عن الدراسة، وكيف يكتشفون الفئات التي تعاني من اكتراب نفسي، وكيف يجيبون على الأسئلة الحساسة المتعلقة بالأحداث التي وقعت

دعمت اليونسكو أيضاً إحياء المهرجانات الثقافية، ومنحت الشباب أرضاً خصبة للإبداع في مركز "المحطة"، وقدمت التدريب على استخدام الآلات الموسيقية التقليدية، وأنشأت مركزاً مجتمعياً للمعلومات على ضفاف نهر دجلة، وهو يستضيف الفعاليات ويدعم مبادرات المجتمع المدني – وذلك كي تستعيد الموصل إيقاعها ونبضها وحكاياتها، فتُعبّر عن نفسها بحرية كما كانت في الماضي

تركت هذه المبادرة بصمة خالدة لليونسكو ولروح التعددية، إذ أبرزت كيف يمكن للتعاون الدولي أن يكون مصدر إلهام وفعالية، ويُترجم إلى أفعال ملموسة تؤتي ثمارها

تستعيد الموصل اليوم مكانتها كمنارة أمل لم يكن ينبغي أن تنطفئ يوماً، وكنموذج يُحتذى به لما يمكن تحقيقه من خلال قوة الثقافة والتعليم – في العراق وفي العالم أجمع

كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك

حقائق وأرقام أساسيّة

80٪ من مدينة الموصل القديمة دُمِّرَت خلال فترة احتلال تنظيم داعش لها.

115 مليون دولار أمريكي هو المبلغ الذي حشدته اليونسكو لتمويل المبادرة، ويشمل 50.4 مليون دولار أمريكي من الإمارات العربية المتحدة ومبلغ 48.2 مليون دولار أمريكي من الاتحاد الأوروبي.

15 بلداً ومنظمة دولية من البلدان والمنظمات الرئيسية عقدت شراكة مع اليونسكو في هذا البرنامج.

124 بيتاً تراثياً أعادت اليونسكو تأهيلها في مدينة الموصل القديمة.

4 معالم دينية ذات قيمة رمزية أُعيد بناؤها : جامع النوري الكبير، منارة الحدباء، كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك، ودير سيدة الساعة للآباء الدومينيكان وبيت الصلاة فيها.

7700 فرصة عمل محلية استحدثتها مبادرة اليونسكو.

2800 طالب وطالبة تخرّجوا من برنامج التعليم والتدريب في المجال التقني والمهني.

5000 على الأقل من الفاعلين في مجال التعليم والأهالي في أكثر من 130 مدرسة تلقوا التدريب في مجال درء التطرف العنيف عن طريق التعليم، داعمين بذلك أكثر من 120000 طالب وطالبة.

404 فصول دراسية رممتها اليونسكو في محافظة نينوى، من بينها 109 فصول دراسية في الموصل.

12047 طناً من الأنقاض أزيلت من المواقع الرئيسية للمشروع.

45000 طوبة أصلية استُردت من جامع النوري ومنارة الحدباء، ونُظفت وسُجّلَت لإعادة بناء المنارة.

115 عبوة ناسفة استُخرجت، بما في ذلك قنبلة لم تنفجر وُجِدت تحت قبة جامع النوري.

83 طناً من الخشب استُخدمت لتدعيم هيكل جامع النوري.

8718 قطعة أثرية استُردت من المواقع الرئيسية الأربعة ونُظفت وسُجِّلَت.

30٪ من المهندسين العراقيين العاملين مع اليونسكو من النساء.

نبذة تاريخية عن مبادرة اليونسكو

الموصل، رمز للحوار المتعدد الثقافات

يحمل اسم "الموصل" معنى "نقطة الربط والوصل". وكانت مدينة الموصل على مدار الألفي وخمسمائة عام الماضية جسراً يربط بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب. وأصبحت المدينة بفضل موقعها الجغرافي بوتقة تنصهر فيها كوكبة متنوعة من الثقافات والجماعات، ووعاء يزخر بالهوية التعددية للعراق التي جُبلت على التعايش بين مختلف الجماعات الإثنية واللغوية والدينية.

وقد ظلَّ التراث الغني الذي تزخر به مدينة الموصل القديمة وأزقّتها المتشعبة والمتشابكة محفوظاً جيداً منذ عهد بعيد، فالآثار والمباني التي تزيّن المدينة تمثل مزيجاً من عناصر مستمدة من فن العمارة وفنون الزخرفة الإسلامية والمسيحية النسطورية. وكان التراث المعماري لمدينة الموصل القديمة يجسّد عمليات تبادل قِيَم التسامح والتعايش التي اكتنفت المدينة لقرون عديدة.

وامتازت الهندسة المعمارية في الموصل بواجهات من الآجر الذي يزخر بالزخارف، وبديكورات داخلية من الرخام، وقناطر ذات مقرنصات (قناطر مزينة بأشكال تشبه خلايا النحل)، وحجارة بناء غالباً ما تكون منحوتة بنقوش وتفاصيل زخرفية تزدان بها الأبواب والنوافذ والأروقة. ويُعدّ المرمر المحلي، المعروف اصطلاحاً برخام الموصل، مثالاً على هذا التطور المعماري الذي يضفي على الموصل طابعها المميز.

ولا شكّ في أنّ جامع النوري الكبير كان أحد أبرز المعالم المعمارية في المدينة القديمة، وهو يشتهر بمئذنته الحدباء التي يبلغ ارتفاعها 45 متراً وتمثل معلماً معمارياً بارزاً ورمزاً للموصل وسكانها. وكانت منارة الحدباء، إلى جانب برج الساعة في دير سيدة الساعة، صرحَين بارزَين يتشاطران سماء المدينة.

مدينة استحالت أنقاضاً

لـمّا كانت الموصل مدينة فريدة من نوعها ومتعددة الثقافات وحيزاً للحوار بين الأديان، استهدفها تنظيم داعش وداهمها بين عشية وضحاها. وأسفر اجتياح المدينة في حزيران/يونيو 2014 واحتلالها لثلاث سنوات، ثم معركة تحريرها في تموز/يوليو 2017، عن تدمير ٪80 من المدينة القديمة.

وتعرّضت آلاف الكتب والمخطوطات النادرة، فضلاً عن قطع أثرية من مكتبات الموصل ومتاحفها ومجموعاتها، للتدمير أو النهب.

وحلّ الخراب بالموصل وتحوّل تراثها إلى كومة حطام وأنقاض، وتضررت معالمها الدينية وآثارها الثقافية، وشُرِّد الآلاف من سكّانها بعد أن تركت هذه التجربة المريرة آثاراً بالغة في نفوسهم، وولّدت حاجة ضخمة إلى المساعدات الإنسانية.

وتشرذمت روح الموصل.

مبادرة "إحياء روح الموصل": رؤية متعدّدة التخصصات

عُقد مؤتمر لإعادة إعمار العراق في الكويت في شباط/فبراير 2018، حيث أعلن المجتمع الدولي عن تكاتف وثيق لإعادة تأهيل البنية الأساسية للعراق.

وصرَّحت المديرة العامة لليونسكو، أودري أزولاي بأن "نجاح عملية إعادة إعمار العراق واستعادة العراق مكانته ومجده مرهون بإيلاء الأولوية للجانب الإنساني في هذا المشروع، ويمثل التعليم والثقافة العنصرَين الرئيسيَين اللذين يمكن تسخير إمكانياتهما لتحقيق الوحدة والمصالحة".

وتُعدّ حملة "إحياء روح الموصل" الحملة الأكثر طموحاً من بين حملات إعادة الإعمار التي اضطلعت اليونسكو بتنفيذها في العقود الماضية. وتقوم هذه الحملة على ثلاث ركائز تتمثل في التراث، والحياة الثقافية، والتربية والتعليم، باعتبارها وسائل رئيسية لإنعاش مدينة الموصل.

وأعادت اليونسكو بناء معالم المدينة ذات القيمة الرمزية، وهي جامع النوري ومئذنته الحدباء، ودير سيدة الساعة، بما في ذلك بيت الصلاة، وكنيسة الطاهرة، فضلاً عن 124 بيتاً تراثياً، والعديد من المباني الأخرى في مدينة الموصل القديمة.

نُفّذت هذه المشاريع وفق أرفع المعايير الدولية، وأوجدت زهاء 7700 فرصة عمل. وتلقّى أكثر من 2800 شخص التدريب والتأهيل في مجالات البناء، وتعلموا تقنيات تقليدية مثل نحت حجر المرمر، وحفظ التراث وترميمه.

أولت المبادرة اهتماماً إلى إنعاش الحياة الثقافية عبر دعم الموسيقى التقليدية وصناعة السينما والتعليم، إذ جرى تجديد أكثر من 400 فصل دراسي في الموصل والمناطق المحيطة بها، وتلقى أكثر من 5000 معلم ومرب التدريب في مجال تعزيز الثقافة والحوار بين الثقافات.

©اليونسكو/هادي النجار

©اليونسكو/ميسر نصير

منارة الحدباء

شيَّدَ الحاكم السلجوقي نور الدين زنكي منارة الحدباء في عام 1172 في المجمع الديني الذي يضم جامع النوري. وبلغ ارتفاعها 45 متراً وكانت مزيّنة بزخارف الآجر. يحمل اسم "الحدباء" قيمة رمزية - والأحدب لغةً هو ناتئ الظهر – وأُطلق عليها في القرن الرابع عشر عندما أصبح ميلانها بادياً للعيان.

وبقيت المنارة سليمة لم تمسّها يد طوال قرون، لتصبح معلماً بارزاً من معالم هذه المدينة التاريخية، ورمزاً يجسّد قيمتها الثقافية. واكتست المنارة أيضاً أهمية وطنية كبيرة، وطُبعت صورتها على ورقة العشرة آلاف دينار.

كان تدمير الجزء الرئيسي من المنارة في عام 2017 فاجعة وطنية. وخاطر الموصليون بحياتهم خلال معركة تحرير المدينة عندما شكلوا سلسلة بشرية حول الموقع في خطوة بطولية حالت دون تدمير الموقع بالكامل.

إعادة بناء منارة الحدباء "كما كانت في سابق عهدها"

أجرت اليونسكو وجامعة الموصل دراسة استقصائية لاستطلاع آراء الموصليين بشأن إعادة بناء منارة الحدباء، وأعرب 94% من الأشخاص الذين شاركوا في هذه الدراسة عن رغبتهم في إعادة بناء المنارة بالشكل الذي كانت عليه قبل تدميرها.

وشملت المرحلة الأولى من عملية إعادة البناء إجراء دراسات هيكلية وجيولوجية وأثرية معمقة ومستفيضة. وتوجّب على الأفرقة أيضاً تأمين قاعدة المنارة التي بقيت في مكانها، وتنظيفها وتثبيتها.

وبدأت مرحلة إعادة البناء في شباط/فبراير 2022 بدعم من دولة الإمارات العربية المتحدة. وأُعيد بناء المنارة برمتها بطوب الآجر، باستخدام تقنية لم تُستخدم منذ قرون، مع المحافظة على ميلانها، وتنطوي على صعوبات تقنية معقدة جداً.

وكانت النتيجة معلماً يجمع بين العمارة التقليدية ومهارات الموصل العريقة وبين أحدث التقنيات الدولية وأكثرها ابتكاراً، ويضمن هذا المزيج الحفاظ على أصالة الموقع وثباته.

منارة الحدباء في عام 2018
قبل أعمال إعادة البناء

© اليونسكو/مؤمن العبيدي

ثلاثة أسئلة موجَّهة إلى السيدة ماريا ريتا أسيتوسو، رئيسة فريق اليونسكو المعني بإعادة بناء جامع النوري ودير الساعة وكنيسة الطاهرة

لماذا كانت عملية إعادة بناء المئذنة تنطوي على صعوبات تقنية؟

ماريا ريتا أسيتوسو: كانت المئذنة مكوّنة من عمود أسطواني يبلغ ارتفاعه 40 متراً، في داخله درج حلزوني مزدوج، وتزيّنه ألواح زخرفية آجرية. وكانت المئذنة عند تشييدها مستقيمة، لكنها احدودبت بمرور القرون. وإذ يصعب أصلاً إعادة بناء مئذنة مائلة باستخدام هيكل فولاذي داخلي، فإن بناءها باستخدام المواد التقليدية أصعب، علماً بأننا سنعيد بناءها فوق القاعدة الأصلية التي تعرّضت للضرر أصلاً بسبب مشكلات هيكلية حادة كانت موجودة قبل تدميرها المتعمد، والتي أوهنها كثيراً صعق الانفجار الهائل.

ما التقنية التي استُخدمت لإعادة بناء المئذنة بصورة مائلة؟

ماريا ريتا أسيتوسو: أُعيد بناء العمود المفقود بالكامل من آجر البناء، مع إجراء التحسينات الموضعية اللازمة لإحكام الوصلات بين الأجزاء الخارجية للجسم الأسطواني والأجزاء الداخلية. وسعياً إلى تحقيق زاوية الميل التي اتفُق عليها، والتي تعني امتداد البرج أفقياً بطول 1.6 متراً، سيجري رصّ صفوف من الآجر بطريقة معينة، مع ضرورة ربط الآجر ببعضه وتثبيته بالملاط أفقياً من أجل توزيع الضغوط بين جميع الأجزاء بصورة متجانسة لدرء الأضرار الهيكلية. حشدنا أفضل الخبراء الدوليين، من بينهم خبراء مختصين في برج بيزا المائل في إيطاليا.

أرادت اليونسكو أيضاً استخدام المواد التقليدية قدر الإمكان، فأي مواد استُخدمت في هذا المشروع؟

ماريا ريتا أسيتوسو: مكَّن البناء بالآجر من تحقيق التوافق اللازم مع المواد الأصلية واحترام تقنية البناء الأصلية، فضلاً عن استدامة المواد وقوة تحملها. وتتطلب ذلك الأمر إعادة استخدام أكبر قدر ممكن من القطع التاريخية التي أُنقذت من الهيكل الأصلي والتي تشمل، على سبيل المثال لا الحصر، الألواح الخارجية المزخرفة المصنوعة من الآجر المنحوت. وتمكّنا بذلك من استعادة شكل المئذنة الحقيقي لتتبوأ مجدداً مكانتها في ثقافة الموصل وتنتصب في عنان سماء المدينة.

منارة الحدباء في عام 2025
بعد رحلة طويلة من أعمال البناء
كي تعود إلى سابق عهدها

©اليونسكو/ عبدالله رائد

مجمع جامع النوري

يمثل جامع النوري صرحاً عظيماً منذ بنائه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر باعتباره الجامع الكبير في الموصل، وموقعاً رئيسياً في حياة مدينة الموصل القديمة وفي تنميتها الحضرية.

ولم يتوانَ تنظيم داعش عن رفع علمه على سطح الجامع في عام 2014، وأعلن زعيمه "الخلافة الجديدة" من مصلى الجامع. وتعرّض الجامع للضربة القاصمة الأخيرة خلال انسحاب تنظيم داعش في عام 2017، إذ لم يتردد أعضاؤه في تفجير سلسلة من المتفجرات داخل المصلى.

ولا تمثل استعادة جامع النوري المكانة التي يستحقها بوصفه الجامع الرئيسي في الموصل تحدياً معمارياً فحسب، بل تمثل في المقام الأول فعلاً رمزياً للإحياء والنهوض. وتمثلت الغاية من عملية إعادة بناء الجامع في إحياء الشعور بالانتماء والهوية في وجدان جميع الموصليين، وإحياء روح الموصل بوصفها مركزاً للإبداع المتعدد الثقافات.

"هذا التراث يربطنا بجذور أجدادنا"

شيماء عبد المنعم، 50 عاماً، وتعيش في المدينة القديمة. تقول شيماء التي يقع منزلها بالقرب من جامع النوري: "لم أتناول الطعام لمدة ثلاثة أيام عندما دُمّرت المئذنة، كنت أبكي وأعيش حالة حداد.

فهذه المئذنة المائلة تمثل تراثنا وهي أيقونة ورمز للموصل. فمَن منّا لا تربطه ذكريات لطيفة وطيبة بأوقات الصلاة في الجامع؟ وكنا منذ نعومة أظافري نذهب إلى السوق ثم نتوقف في طريق العودة منه عند الجامع لنرتوي بالماء. فضلاً عن أن أجواء شهر رمضان مختلفة هنا، إذ نصلّي صلاة الجماعة في الجامع، ويتبادل الجيران الأطباق، كأننا نعيش جميعاً في كنف أسرة واحدة كبيرة".

يقول نور الدين نديم، 52 عاماً، وهو أب لثلاثة فتية وفتاة: "لا تقتصر أهمية المئذنة على الموصِليين فحسب، بل هي مهمة لجميع العراقيين. ويربطنا جامع النوري بجذور آبائنا وأجدادنا، ويبعث مشروع إعادة بنائه الأمل في نفوس العائلات في المدينة."

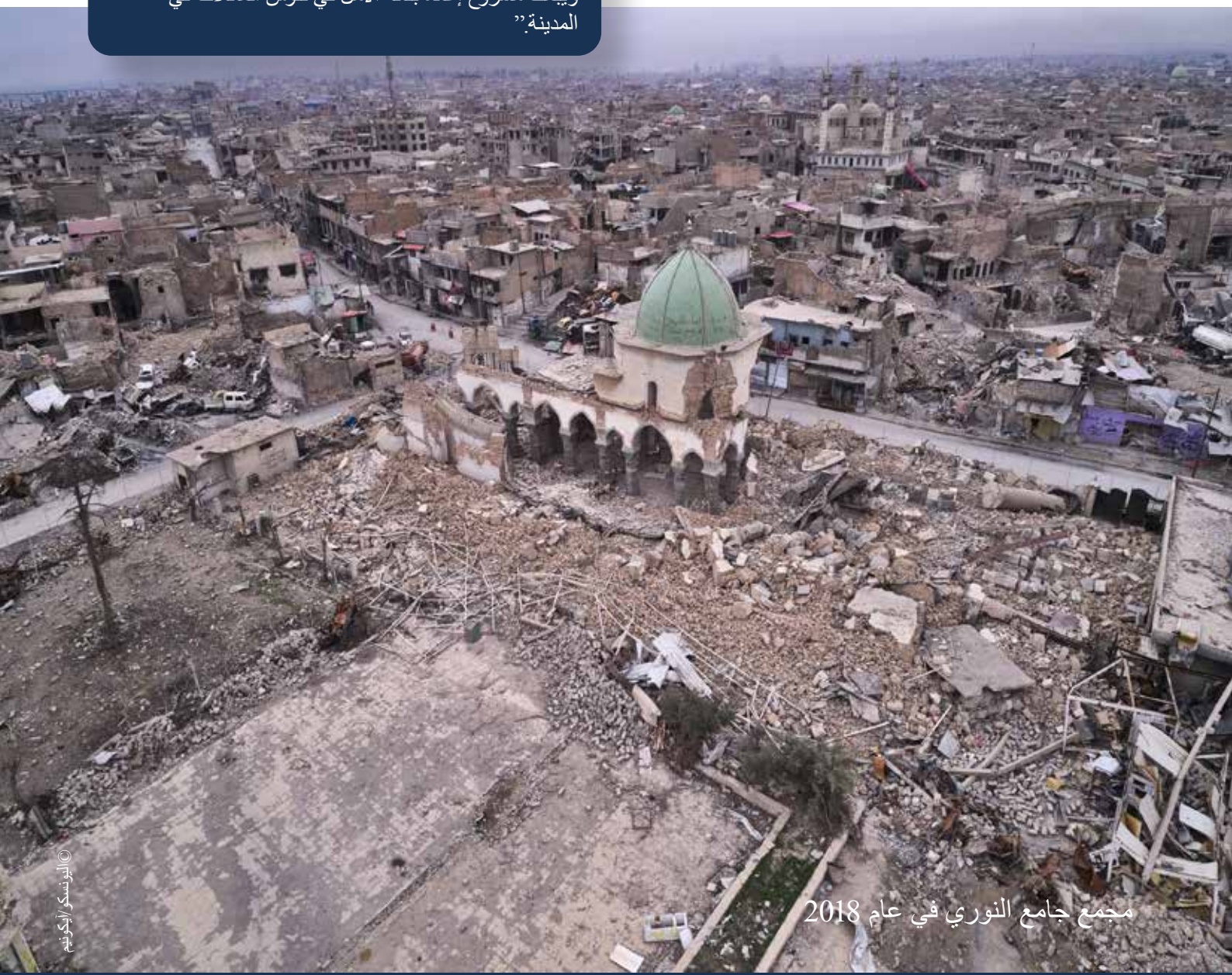

مجمع جامع النوري في عام 2018

© اليونسكو/أيكونيم

مسابقة معمارية دولية

استُهلت المرحلة التحضيرية لعملية إعادة تأهيل هذه المعالم المرموقة في خريف عام 2018 بفضل الدعم المقدَّم من دولة الإمارات العربية المتحدة. وشملت الإجراءات الأولى نزع الألغام من الموقع المتضرر وإزالة المواد الخطرة.

ثم غُربلت هذه الأنقاض بعناية لتحديد القطع القَيّمة التي يمكن حفظها وإعادة استخدامها في عملية إعادة البناء. واستعادت الهيئة العامة للآثار والتراث العراقية العناصر الهيكلية المدمرة.

وأجرى الخبراء العاملون في الموقع دراسات لفحص الهياكل ووثّقوا النتائج التي توصلوا إليها من أجل التخطيط لعملية إعادة البناء والترميم. وتزامنت هذه الأنشطة مع تثبيت أرضية الموقع.

وخلصت نتائج دراسة استقصائية أُجريت في عام 2020 إلى أنَّ 70% من سكّان الموصل أبدوا رغبتهم في إعادة بناء مصلى جامع النوري بالشكل الذي كان عليه قبل تدميره، مع إدخال بعض التحسينات عليه، بما في ذلك مساحة واسعة للوضوء وقاعات إدارية وحديقة.

واستهلّت اليونسكو مسابقة معمارية دولية لاختيار تصميم جامع النوري الكبير، فاز بها فريق مصري يتألف من أربعة شركاء وقع عليهم الاختيار في نيسان/أبريل 2021، وقاموا بإعداد الصيغة النهائية للتصميم التفصيلي للجامع في أيار/مايو 2022، بتعاون وثيق مع جامعة الموصل وخبراء محليين. وعُرض التصميم على مجتمع الموصل خلال فعالية عامة في شهر حزيران/يونيو 2022.

اكتشاف أثري مذهل

أفضت الأعمال التي قامت بها اليونسكو في الموقع إلى اكتشاف أثري استثنائي. عندما آن أوان إجراء دراسة للموقع للتأكد من أن أساساته آمنة في آب/أغسطس 2021، بدأ العمال أعمال الحفر بالقرب من المصلى، حيث أماطوا اللثامَ شيئاً فشيئاً عن الأرضية الأصلية. ولاحظ العمال، في أثناء عملهم على الجزء المكشوف تواً من الأرضية، وجود مساحات فارغة تحت الأرضية، مما أدى بهم إلى اكتشاف قاعة كانت شبه مدفونة تحت الجامع، ثم اكتشفوا أربع غرف يعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر ويرجح أنها كانت تُستخدم للوضوء.

وشارك أربعون عاملاً وعالم آثار من الهيئة العامة للآثار والتراث العراقية في أعمال الحفر. وأتاح اكتشاف عملات معدنية تعود إلى فترة الأتابكة تحديد تاريخ الغرف. واكتُشفت أيضاً قطع أثرية أخرى تشمل الجرار والأواني الفخارية والمنحوتات الحجرية.

ودُمج هذا الاكتشاف الأثري الرائع في التصميم المعدّ لإعادة بناء جامع النوري. وتتعاون الهيئة العامة للآثار والتراث العراقية مع اليونسكو لضمان تجديد الجامع وصونه كمتحف لتعريف الزائرين بمختلف مراحل تاريخ الجامع.

معضلة إعادة الإعمار

اكتشفت فرق اليونسكو في شهر حزيران/يونيو 2024 ست قنابل ذات قدرة تدميرية هائلة خبّأها تنظيم داعش داخل أسوار جامع النوري.

أُبلغت السلطات العراقية على الفور بهذا الاكتشاف، ثمَّ جرى تأمين المنطقة والتخلص من القنابل بأمان.

استؤنفت أعمال البناء في غضون أيام، إلا أنّ واقعة العثور على هذه القنابل كانت مجرد مثال واحد من عدد من التحديات المعقدة التي كان لا بد من التغلب عليها خلال مسيرة إعادة الإعمار.

جامع النوري في عام 2024

©اليونسكو/ عبدالله راشد

دير سيدة الساعة

وُضعت أولى لبنات بناء دير سيدة الساعة، في عام 1866. وكان الدير يؤدي منذ تأسيسه ثلاث وظائف: دينية وثقافية واجتماعية. ويوجد في الدير كنيسة ومدرسة لاهوتية ومساكن لجماعة الرهبان وجماعة الراهبات، ومدرسة للبنين ومدرسة للبنات، فضلاً عن مستشفى ومنزل للعاملين في البعثة. ثم تأسست في الدير كلية لإعداد المعلمات.

وقرَّر الرهبان الدومينيكان إنشاء أول مطبعة حديثة في بلاد الرافدين في الموصل. ونشروا أول نسخة من الكتاب المقدّس باللغة العربية، وأول كتاب لقواعد اللغة الكردية، فضلاً عن نشر العديد من النصوص الأخرى التي تعتبر محل اهتمام في المنطقة.

وقدّمت الإمبراطورة أوجيني دي مونتيخو، زوجة نابليون الثالث، التمويل اللازم لبناء أول برج للأجراس في العراق، ليركَّب في عام 1881 وعليه الساعة الشهيرة ذات الأربعة أقراص. وسُمّي الحي أيضاً تيمناً باسم الساعة، التي ضبطت دقاتها إيقاع حياة سكّان المدينة قاطبةً على مر القرون.

وتضرَّر مبنى كنيسة الساعة خلال فترة احتلال تنظيم داعش للمدينة، وتعرّض ديرها للنهب والسلب.

دير سيدة الساعة في عام 2024، بعد الانتهاء من أعمال إعادة البناء.

©اليونسكو/ عبدالله راشد

صُبَّت مجموعة أجراس الدير الجديدة في مسبك كورنيلي هافارد في نورماندي، فرنسا، في كانون الأول/ديسمبر 2022.

© اليونسكو/كريستيل أليكس

وضع المجتمعات المحلية في صلب عملية إعادة البناء

استهلَّت اليونسكو في آذار/مارس 2020، بالتعاون الوثيق مع الرهبانية الدومينيكانية والسلطات العراقية المعنية، المرحلة التحضيرية لعملية إعادة بناء الدير. وتمثلت أولوية هذه المرحلة في تأمين الموقع وتطهيره من الذخائر غير المنفجرة.

وفي أعقاب ذلك أُعدت خطة تفصيلية لعملية تنفيذ الأشغال. تمثلت الغاية المنشودة من هذا التصميم، الذي أُعدَّ بالتعاون بين الخبراء والجهات المعنية المحلية، في تلبية التوقعات المحلية وتوليد شعور بالملكية المحلية لدى السكّان.

وبدأت مرحلة إعادة البناء الفعلية للموقع في نيسان/أبريل 2023. ركّز المشروع المموّل من دولة الإمارات العربية المتحدة على استعادة العناصر المعمارية للدير وإضفاء طابع الحداثة عليها. تضمن المشروع، إلى جانب الإصلاحات الهيكلية، تجديد التصميم الداخلي لبيت الصلاة ومرافقه، مع الحفاظ على أصالته التاريخية ووظيفته. ورُكّب نظام للطاقة الشمسية على السطح لتعزيز استدامة المبنى.

وتلقى الدير في عام 2023 أيضاً ثلاثة أجراس جديدة تحمل أسماء جبرائيل وميخائيل وروفائيل، جرى صبها في مسبك أجراس عائلة كورنيل-هافرد في نورماندي بفرنسا. الأجراس مركبة اليوم على برج الساعة، وعادت لتدق من جديد لسكان الموصل.

اختُتمت أعمال ترميم الدير في كانون الثاني/يناير 2024.

ترميم بيت الصلاة

استهلّت اليونسكو في عام 2022، بدعم من فرنسا، أعمال ترميم "بيت الصلاة" المجاور للدير باعتباره مركزاً تعليمياً وثقافياً متعدد الأغراض لصالح المجتمع المحلي. واختُتمت أعمال الترميم في شباط/فبراير 2024.

©اليونسكو/مؤمن العبيدي

دير سيدة الساعة قبل

©اليونسكو/ عبدالله رائد

وبعد الإعمار

ثلاثة أسئلة موجَّهة إلى الرئيس الاقليمي للأباء الدومنيكان لأقليم فرنسا وممثل الرهبانية الدومينيكانية في الموصل الراهب الأخ نيكولا تيكسيه

لماذا تعد الموصل مدينة فريدة؟

الراهب الأخ نيكولا: لطالما كانت الموصل مكاناً للالتقاء ونقطة تقاطع كما يتجلى في أصل كلمة "الموصل" بحد ذاتها، التي تعني تقاطع الطرق. وشيّد المسيحيون والمسلمون دير سيدة الساعة يداً بيد، فأصبح على مدى العقدَين الماضيَين مكان عبادة يرتاده المؤمنون المسيحيون والمسلمون على حد سواء. وهذه هي السمة التي تنفرد بها الموصل، فهي كلوحة الفسيفساء الملونة بأطياف مختلفة تشكّل كينونة يطبعها التناغم والتجانس. بيد أن الحرب قد قطعت تلك الأواصر التي نسعى اليوم إلى إعادة بنائها.

ما التحديات التي ينطوي عليها مشروع "سيدة الساعة"؟

لقد خشينا من وقوع هذا الجزء من تراثنا طي النسيان عندما استُهلت عملية إعادة إعمار الموصل. ولولا جهود اليونسكو والدعم المالي الذي قدمته دولة الإمارات العربية المتحدة، لتعذّر النظر في عملية إعادة بناء الدير. وتبعث مبادرة "إحياء روح الموصل" على الأمل لأنها تعيد بناء الروح المعنوية للمدينة. ويمثل إعادة بناء المدينة معاً وسيلة لإعادة بناء المجتمع. ونودّ أن تستعيد هذه المواقع الدور الذي كانت تؤديه فيما مضى من أجل المساهمة في إعادة إحياء الجوانب الثلاثة للبعثة البابوية الأولى إلى بلاد الرافدين، أي الجانب الديني والثقافي والاجتماعي. فلطالما كانت أبواب الدير مفتوحة أمام الناس كافة من جميع فئات ومشارب المجتمع والأديان والمعتقدات، بلا تمييز بين رجل وامرأة.

يبدو أن للنساء مكانة مهمة في الدير، فما السبب؟

من المهم في المجتمعات التقليدية وجود أماكن ترتادها المرأة بحرية، وهذه الأماكن تشمل المواقع الدينية. وضمّ دير سيدة الساعة أول مدرسة للبنات في بلاد الرافدين وأول كلية لإعداد المعلمات. ثم انتشرت هؤلاء النساء العراقيات في جميع قرى سهل نينوى وصعدن الجبال وصولاً إلى مدينة زاخو من أجل إنشاء مدارس في قرى المنطقة. ولم تتغير مهمتنا، فلا تزال مائة وخمسون راهبة دومينيكانية في العراق تؤدي هذه الفريضة في يومنا هذا، فالإنسانية تمثل أهم مواردنا الأولية.

كنيسة الطاهرة

بُنيت كنيسة الطاهرة في عام 1859 وافتُتحت في عام 1862. وهي تتميز عن سائر الكنائس التي شُيّدت في الفترة نفسها بتعدد المذابح فيها وغرفتي السكرستيا والعلية الموجودة في جانبها الغربي.

وأُجريت أعمال تجديد في كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك بعد زهاء قرن من إنشائها. وكُسيت جدرانها الخارجية بالحجارة، وبنيت أروقة في الطابق الأول من الكنيسة كي تستوعب الطلاب في الاحتفالات الكبرى، وطُليت أيضاً جدرانها الداخلية.

دُمّرت الكنيسة في عام 2017 بصورة شبه كاملة، وكانت عملية إعادة بنائها شديدة التعقيد بسبب انهيار سقفها، وقد ألمّ الدمار بمعظم أروقتها وجدرانها الخارجية.

وتمثلت الخطوة الأولى من المشروع الذي استُهل في عام 2019 في تفكيك الأجزاء المتبقية من السقف الخرساني والتي كانت معرضة للانهيار. ثم نُزعت الألغام من الموقع الذي تبلغ مساحته 650 متراً مربعاً، وثُبتت الأجزاء المتبقية مؤقتاً. وأزال العمال الأنقاض وفرزوا القطع أكثر من 6000 عنصر يكتسي أهمية من الناحية التراثية، والتي يمكن إعادة استعمالها في مراحل مختلفة من عملية إعادة البناء.

وجرى تكييف مشروع كنيسة الطاهرة، شأنه في ذلك شأن سائر خطط إعادة الإعمار، بما يتلاءم مع توقعات السكان والتاريخ الثقافي والديني. أُعيد بناء الكنيسة بالشكل الذي كانت عليه قبل تدميرها. وسُلِّمت مفاتيحها إلى الطائفة المسيحية في شهر أيلول/سبتمبر 2024.

خضعت أسطح المرمر الداخلية خلال عملية إعادة البناء لأعمال ترميم وحفظ دقيقة، مما أتاح كشف زخارف الأزهار الأصلية المرسومة في الكنيسة. وساعد في هذا العمل فريق مكون من 13 طالباً من قسم الفنون الجميلة في جامعة الموصل، كان 30% منهم من الطالبات، وقد تلقى هؤلاء الطلاب تدريباً عملياً في مجال صيانة الأسطح طوال فترة المشروع، وذلك في إطار التزام اليونسكو بتقديم تدريب تقني عملي.

امتازت عملية الترميم بمستوى عال من الدقة التقنية، فضلاً عن اتباع تقنيات متطورة واستخدام مواد تثبيت حديثة لم تُستخدم في العراق من قبل.

واكتمل مشروع إعادة البناء في آب/أغسطس 2024.

كنيسة الطاهرة في عام 2018.

©اليونسكو/مؤمن العبيدي

إنقاذ المخطوطات القديمة

كانت مكتبة الموصل تزخر بمجموعة منقطعة النظير من المخطوطات القديمة التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع، فضلاً عن مجموعة من الكتب المطبوعة التي يرجع تاريخها إلى عام 1515. وتتسم محفوظات المكتبة بأنها متعددة الأديان، فلم تكن تضم نصوصاً مسيحية قديمة مكتوبة بالسريانية والآرامية فحسب، بل شملت أيضاً نصوصاً إسلامية ويهودية وأيزيدية في التاريخ والرياضيات والأدب.

وعندما دخل تنظيم داعش مدينة الموصل في عام 2014، تمكّن رئيس أساقفة الكلدان في الموصل الأب نجيب والعديد من مساعديه من إنقاذ 800 مخطوطة حملوها معهم وفَرّوا إلى أربيل. وهم يعكفون منذئذ على ترميم مخطوطات الموصل القديمة ورقمنتها. وتدعم اليونسكو هذا المشروع، عبر المساهمة المالية التي تقدمها المجر وليتوانيا، من خلال إنشاء مختبر لحفظ المخطوطات، وتزويده بالمعدات التقنية اللازمة وتدريب موظفيه والمتطوعين فيه على تقنيات حفظ المخطوطات وترميمها.

ويقول الأب نجيب في هذا الصدد إنَّ "محفوظات مركز المخطوطات الشرقية الرقمي تجسّد روح الموصل، أي روح الثقة والأمان والتعايش السلمي بين الطوائف العراقية العديدة. ولا بدّ من صون هذه المحفوظات وتمكين عامة الناس من الاطلاع عليها من أجل حفظ تاريخ التفاعل بين الطوائف في الذاكرة والاسترشاد به لبناء المستقبل".

ويجري العمل حالياً على رقمنة أكثر من 8000 مخطوطة واردة من 105 مجموعات من العراق وتركيا وإيران. ولا يزال يتعيّن صون زهاء 10000 مخطوطة وحفظها وأرشفتها.

©اليونسكو/مثير نصير

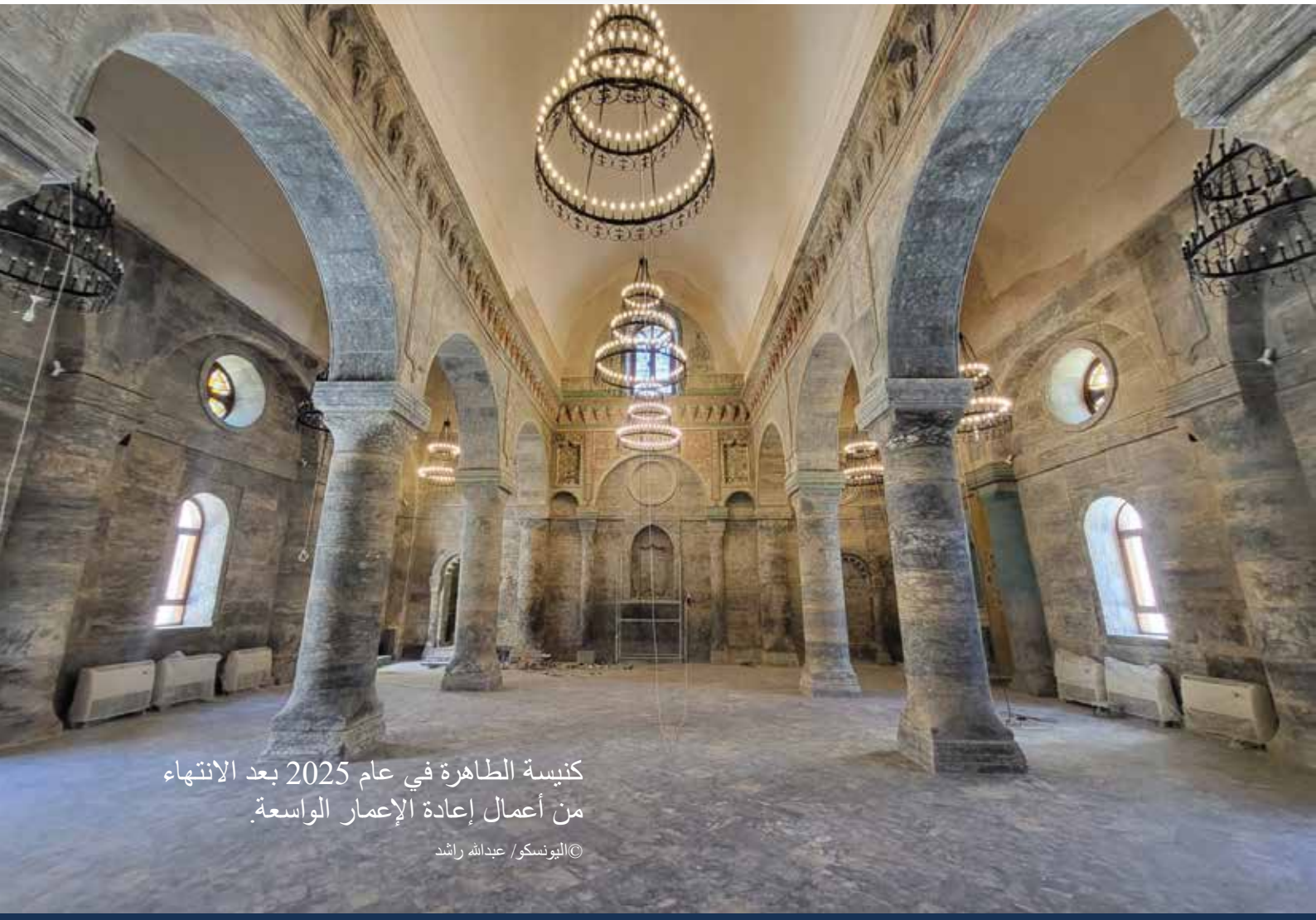

كنيسة الطاهرة في عام 2025 بعد الانتهاء من أعمال إعادة الإعمار الواسعة.

©اليونسكو/ عبدالله راشد

البيوت التراثية

تنطوي مبادرة "إحياء روح الموصل" أيضاً على إحياء المدينة القديمة من خلال تمكين السكّان من العودة إلى ديارهم التي دُمرت إبّان الحرب.

عملت اليونسكو على ترميم وإعادة بناء 124 بيتاً تراثياً، بدعم من الاتحاد الأوروبي، في إطار مشروع شامل لا يقتصر على إعادة بناء الجدران فحسب، بل يشمل أيضاً تحسين شبكة الكهرباء وخزانات الصرف الصحي ومنظومة الصرف الصحي ورصف الطرق وتعبيدها وإنارة الشوارع.

وكان لا بدّ من تنظيف الحي وتطهيره قبل الشروع في عملية إعادة البناء. وقد أزيلت حتى الآن 2107 أطنان من الأنقاض و21 ذخيرة غير منفجرة.

اختُتمت أعمال ترميم وإعادة تأهيل مئة واثنين وعشرين بيتاً تراثياً بنجاح، بالإضافة إلى منزلين تاريخيين فخمَين، هما بيت سليمان الصائغ وبيت زيادة، وذلك بحلول شباط/فبراير 2024، وسُلّمت إلى أصحابها.

تركّز العمل على إعادة بناء وترميم العناصر المعمارية للمنازل بعناية، باستخدام تقنيات ومواد تقليدية، بغية الحفاظ على هوية المدينة القديمة وأصالتها العمرانية.

سيُحوَّل بيت سليمان الصائغ الفخم الذي أعيد ترميمه إلى متحف.

وأسهم هذا المشروع أيضاً في استحداث أكثر من 3500 فرصة عمل محلية في الموصل، وقد نظّمت اليونسكو برنامجاً تدريبياً مهنياً لتعزيز عمالة الشباب في مجالات رصف الآجر والبناء بالحجارة والتمديدات الكهربائية والنجارة. واستفاد أكثر من 937 شاباً وشابة من هذا التدريب.

وأُقيم أيضاً برنامج تدريب مهني يستهدف نحاتي الرخام والحجر والمرمر من أجل دعم سبع منشآت صغيرة الحجم ومتوسطة الحجم في الموصل، وذلك تحت إشراف وزارة العمل والشؤون الاجتماعية العراقية.

©اليونسكو/ عبدالله راشد

التقت المديرة العامة لليونسكو، أودري أزولاي، في شهر آذار/مارس 2023 بالعائلات التي كانت منازلها قيد الترميم ضمن مبادرة "إحياء روح الموصل".

عودة الأسر إلى مدينة الموصل القديمة

قال منسق الشؤون الاجتماعية لليونسكو في العراق، بهاء حسين علي: "قمنا بالمجمل بإعادة بناء 124 بيتاً بما يضمن إيواء زهاء 170 عائلة، أي 700 شخص ونيّف".

ويقول أحمد وعد، البالغ من العمر 35 عاماً، وهو أحد المستفيدين من هذا المشروع وقد انتقل مؤخراً إلى منزله بعد إعادة بنائه، حيث يعيش مع زوجته وطفلهما وأخيه وأمه: "كان تدمير المنزل خلال الحرب أمراً مرعباً جداً، إذ تداعت جميع الغرف، وانقطعت عنا الخدمات الأساسية مثل الكهرباء والمياه. ولم يبق حولنا سوى الأنقاض والمنازل المدمرة".

وأردف أحمد مستذكراً: "فررنا إلى مخيم الحليلة [للمشردين داخلياً]، حيث مكثنا شهرَين، ثم استضافنا عمي في حي اليرموك، بيد أنني لم أستطع البقاء طويلاً في منزل عمي، فاستأجرتُ منزلاً في حي الهرمات لمدة ثلاث سنوات. ولم أستطع العودة إلى الموصل بعد تحريرها في عام 2017 نظراً إلى الدمار الذي ألمّ بالمدينة وافتقارها إلى فرص العمل. ولكني تلقيتُ ذات يوم من أيام عام 2019 مكالمة هاتفية من جاري، فإذا به يخبرني بأن اليونسكو ستعيد بناء منزلي، فدُهشت مما حدثني به ولم أصدّقه!"

ويعيش أحمد اليوم مجدداً في المنزل الذي وُلد فيه، ويقول: "أُعيد بناء منزلي في عام واحد، وتمكّنت من العودة إليه في أيلول/سبتمبر 2021. وأنا أبدأ فصلاً جديداً في حياتي، فما من شيء يضاهي رائحة الحي الذي نشأتُ وترعرعتُ فيه".

©اليونسكو/ميسر نصير

بيت زيادة الفخم،
أحد أبرز المباني في مدينة الموصل القديمة،
قبل وبعد أعمال إعادة الترميم.

©اليونسكو/ميسر نصير

إنعاش قلب المشهد الثقافي النابض بالحياة

روح الموصل بوتقة جُبلت من التراث الحي والحياة الثقافية النابضة التي تزخر بشتى صنوف الثقافة، من المهرجانات الموسيقية التقليدية إلى بائعي الكتب في الشوارع. وقد نفذت اليونسكو وشركاؤها خطة شاملة لإنعاش الحياة الثقافية والمؤسسات الثقافية، تشمل النشاط السينمائي والموسيقي وجميع الصناعات الإبداعية.

نظّمت اليونسكو في خريف عام 2019 أول مهرجان ثقافي يُقام في الموصل منذ أن احتلها تنظيم داعش، وذلك في شارع النجفي الذي يعد مركزاً للحياة الثقافية في المدينة ويشتهر باحتضانه لمعرض الكتاب في الهواء الطلق. وموّل صندوق اليونسكو لحماية التراث في حالات الطوارئ عدة فعاليات في هذا الصدد منها إنتاج فيلم وثائقي بعنوان "تحيا الموسيقى!" وإحياء فعاليات موسيقية متعددة.

واستهلت اليونسكو مشروع "سماع العراق" بالتعاون مع منظمة "العمل للأمل" غير الحكومية دعماً لإحياء الموسيقى التقليدية في الموصل. وخضع للتدريب في إطار هذا البرنامج أربعة وعشرون موسيقياً من الموصل شكّلوا أربع فرق موسيقية تلقت منحاً للقيام بجولة موسيقية في أنحاء العراق.

وسُجِّل إنجاز مهم آخر في شهر آذار/مارس 2022 تمثَّلَ في إقامة "مهرجان الموصل للموسيقى التقليدية" في المدينة القديمة، الذي تخللته حفلات موسيقية أقيمت في بيت تراثي أعيد تأهيله بالكامل. وكان هذا المهرجان أول نشاط من هذا النوع يُقام بعد تحرير المدينة. ومن المخطط إقامة المهرجان الثالث في شهر نيسان/أبريل 2025.

وأنشأت اليونسكو، بدعم من الاتحاد الأوروبي، وبالشراكة مع مسرح "غينت" في بلجيكا، قسماً للسينما في معهد الفنون الجميلة في جامعة الموصل. وخضع للتدريب في هذا الإطار عشرون طالباً اكتسبوا من خلال إنتاج تسعة أفلام قصيرة خبرة عملية في كل الجوانب الأساسية التي ينطوي عليها الإنتاج السينمائي، أي الإخراج وكتابة السيناريو والتوليف والتمثيل وتصميم الأزياء وهندسة الصوت والإضاءة والمساعدة في الإنتاج.

وافتُتح أيضاً مركز "المحطة" في 2021 باعتباره مساحة حاضنة للإبداع ويوفر للشباب العاملين في الصناعات الثقافية والإبداعية مساحة للقاء والتعلم وتبادل الأفكار، وتقام فيه العديد من الفعاليات، مثل الحفلات الموسيقية وحلقات العمل والمعارض.

شهادتا طالبتين في قسم السينما

درست كوثر أحمد ياسين، 27 عاماً، في قسم السينما في كلية الفنون الجميلة. تقول كوثر: "أحب التصوير السينمائي لأنه يعرض صورة الأوضاع في الموصل وينقلها إلى كل أنحاء العالم. ونحن نعيش في مجتمع محافظ يعارض ظهور النساء على شاشة التلفاز، لذلك أمامنا تحدٍّ كبير نحن الشابات. ومع ذلك، يشجعني والداي على القيام بما أحب ويقولان لي دائماً ألا أكترث للتعليقات السلبية التي أراها على وسائل التواصل الاجتماعي فيما يتعلق بعملي. ويسدي لي أبي النصح دائماً بأن أفعل ما أحب وألا أصغي إلى آراء الناس". وقد أخرجت كوثر فيلم "عيون الظلام"، ثم أنتجت فيلم "نورا" عن الاعتداء الجنسي على الأطفال والأطفال المشردين وعمالة الأطفال.

كانت فريال أحمد، 23 عاماً، تدرس السينما أيضاً. تقول فريال: "لقد أشركت والدتي في أحد الأفلام، ثم دعمني كل أفراد أسرتي، فنحن أسرة تهوى الفن. ويحمل فيلمي عنوان "فصليّة"، وهي لفظة تدل في الأعراف العشائرية العراقية على دفع مبلغ من المال أو تقديم فتاة لعشيرة أخرى لفض نزاع بين العشائر. وأتمنى أن أعمل أكثر في مجال السينما لأن شغفي الحقيقي هو أن أكون مصوِّرة سينمائية".

©اليونسكو/غينت

مركز المعلومات المجتمعي

افتتحت اليونسكو في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2022، مركزاً مجتمعياً للمعلومات في مدينة الموصل القديمة، بغية ضمان اطلاع الناس على مبادرة المنظمة ومشاركتهم فيها. ويوجد المركز على ضفاف نهر دجلة في مقر مؤسسة "تراث الموصل" المحلية.

ويوجد فيه معرض تفاعلي عن مبادرة "إحياء روح الموصل"، يشرح أركانها وأنشطتها المختلفة ويجيب على تساؤلات المجتمع. ويفتح المركز أبوابه طيلة أيام الأسبوع باستثناء يوم الجمعة.

ويقدّم لسائر أبناء المجتمع المحلي والسائحين الأجانب زيارات أسبوعية إلى مواقع المشروع، وينظم جولات مدرسية إلى المواقع، تليها أنشطة تعليمية متعلقة بالتراث والثقافة. وينظم المركز أيضاً أنشطة ثقافية دورية.

زار المعرض أكثر من 107 آلاف شخص منذ افتتاحه.

©اليونسكو/هادي النجار

إعادة بناء السلام بواسطة التعليم

يكفل مشروع "إحياء روح الموصل" أيضاً توفير بيئة تعليمية آمنة لكل الأطفال. إذ جرى تجديد ما يزيد على 400 فصل دراسي في مدينة الموصل والمناطق المحيطة بها، وتلقى 5000 شخص من المهنيين التربويين التدريب في مجال التربية من أجل السلام للحيلولة دون عودة التطرف العنيف.

خلَّفت الحرب خراباً مادياً جسيماً، وألحقت أضراراً عميقة بصحة شباب الموصل النفسية ورفاههم. إذ تغيّب معظم الأطفال عن التعليم خلال ثلاث سنوات، من عام 2014 إلى عام 2017، وتعرّض الأطفال الذين استمروا في الذهاب إلى المدرسة إلى عقائد العنف والتطرف التي يحملها تنظيم داعش. وإن اليونسكو، وإذ سعت لمجابهة هذا التحدي، استهلَّت مشروع "درء التطرف العنيف من خلال التعليم".

ودربت اليونسكو أكثر من 5000 فاعل في مجال التعليم (معلمون وأهالي ومديرو مدارس)، 60% منهم من النساء، وامتنّت أهمية هذا التدريب لتعم الفائدة على أكثر من 120000 طالب وطالبة.

وتنفّذ اليونسكو أيضاً، بدعم من الاتحاد الأوروبي، أنشطة لتعميم الانتفاع بالتعليم الابتدائي والثانوي الجيد في المجتمع المحلي، وكذلك لتلبية احتياجات اللاجئين والمشردين وغيرهم من الفئات المستضعفة.

وتتمثل الغاية المرجوة من هذه الجهود في تهيئة بيئة تعليمية آمنة ومؤاتية في المدارس، وتعزيز القدرات في مجال التدريس، وتوفير الكتب المدرسية والمواد التعليمية للأطفال في سن الدراسة، وتحسين رفاهية الأطفال من خلال الدعم النفسي والاجتماعي، والحد من خطر تعرّض الأطفال لانفجار الذخائر غير المنفجرة والألغام وذلك من خلال إزكاء الوعي بهذا الشأن.

مدرسة الإخلاص الابتدائية

كانت مدرسة الإخلاص الابتدائية جزءاً أساسياً من الجهة الغربية من مدينة الموصل القديمة منذ زهاء ستين عاماً خلت. وخلال احتلال تنظيم داعش للمدينة، تحطمت أحلام تلاميذ المدرسة وعائلاتهم بمستقبل واعد تحت وطأة الحرب والدمار.

وأعادت اليونسكو بناء المدرسة، بدعم من الاتحاد الأوروبي. وساهم التلاميذ وأولياء الأمور والمسؤولون عن إدارة المدرسة في تصميم المدرسة الجديدة من

©اليونسكو/ميسر نصير

خلال الإدلاء بأفكارهم في العملية التشاورية التي أُجريت لهذا الغرض.

وأُنجزت أعمال إعادة البناء في شهر شباط/فبراير 2024. وأُثّثت المدرسة الجديدة وجُهّزت تجهيزاً كاملاً وزوّدت بمرافق مصممة بصورة مبتكرة وحديثة لتناسب احتياجات الأطفال وتوفر بيئة تعليمية آمنة ومحفزة لمئات الأطفال الذين عانوا من تبعات النزاع الأخير.

المدرسة مجهزة بـ 12 فصلاً دراسياً، ومكتبة، ومختبرين، وكافيتيريا، وقاعات للمدير والمعلمين، بالإضافة إلى منشأة رياضية. تضمن هذه التجهيزات توخي نهج شامل لرعاية أكثر من 400 طالب في كل فصل من الفصول المتناوبة، فضلاً عن تطورهم وتعليمهم. لا يقتصر تركيز المبادرة على إنعاش التعليم فحسب، بل يمتد ليشمل أيضاً إعادة بناء المجتمع من خلال تزويده بمدرسة يحتاج إليها أطفال المدينة القديمة بشدة، وبث الأمل في قلب العائلات العائدة إلى مدينة الموصل القديمة وجعلهم يشعرون بالاستقرار. مدرسة الإخلاص تابعة للسريان الكاثوليك وتعتزم استقبال أول فوج من الطلاب في عام 2025.

ترميم مكتبة جامعة الموصل

تعمل اليونسكو، بالشراكة مع إيطاليا، من أجل ضمان استئناف العمل في مكتبة جامعة الموصل وفتح أبوابها أمام الجمهور تماماً كما عهدناها قبل الدمار والاحتلال الذي دام بين عامَي 2014 و 2017. ويركز مشروع ترميم مكتبة جامعة الموصل، الذي رأى النور في حزيران/يونيو 2023 بتمويل قدره مليوني دولار أمريكي، على إعادة تأهيل المكتبة بصورة عصرية.

وتلقى حتى اليوم 87 موظفاً في المكتبة التدريب في مجالات تشمل إدارة المكتبات، والرقمنة، والفهرسة، والحفاظ على الكتب، والشراكات، وغيرها من المهام الأساسية المنوطة بالمكتبات. وجُهّزت المكتبة أيضاً بنظام معلومات مكتبي متطور وبرمجيات وأدوات أساسية أخرى هيأت آلية عمل مؤتمتة بالكامل تتيح لأكثر من 70,000 طالب وطالبة و5,000 عضو من أعضاء الهيئة التدريسية الاستفادة منها، وتزودهم بمصادر المعرفة القيمة على الصعيدين المحلي والدولي.

وجرى أيضاً إنشاء وحدة متخصصة لحفظ وترميم المواد المكتبية، ويجري تجهيزها بالمعدات والمواد اللازمة لضمان الترميم السليم للكتب النادرة والمخطوطات والمجموعات المهمة الأخرى، والحفاظ عليها، ورقمنتها، ثم تخزينها في مستودع مكتبي آمن سيُنشأ قريباً. وأُقيمت أيضاً شراكات رئيسية مع مؤسسات وطنية ودولية لتأمين الدعم، والمواد التعليمية، والخبرات التي سيستفيد منها الطلاب والباحثون في آن معاً.

التقت المديرة العامة لليونسكو، أودري أزولاي، رئيس جامعة الموصل، البروفيسور الدكتور قصي الأحمدي، في آذار/مارس 2023.

شهادات معلمين من الموصل

قال فارس عبد الله، البالغ من العمر 46 عاماً، والمعلم في مدرسة يارمجة الابتدائية: "تعرّض المجتمع الموصلي لأزمة نفسية جعلت التلاميذ يرفضون فكرة العودة إلى المدرسة والانخراط في منهاج دراسي. وكان في مدرستنا الابتدائية بعض التلاميذ الذين عانوا من مشكلات نفسية لم نستطع التعامل معها. وقد فقدنا العديد من الطلاب وكان لدى بعض الطلاب عقلية متطرفة ومتشددة".

وأفاد فارس أيضاً: "تعلمنا خلال الدورة التدريبية التي قدمتها اليونسكو بشأن درء التطرف العنيف سبل معالجة مشكلات مثل الشعور بالكره والنفور من المدرسة والمجتمع والتعلم بوجه عام. وزودتنا الدورة بأدوات أساسية تعيننا على التحدث مع طلابنا وزيارة أسرهم ومجالستهم والتقرب منهم. وتمكنّا من خلال الأنشطة والحوار مع الطلاب من توجيههم إلى المسار الصحيح وإقناعهم بالعودة إلى المدرسة".

تقوم مها عبد حسين، 52 عاماً، بالعديد من الأنشطة لتشجيع الطلاب على العمل الجماعي وتبادل الأفكار فيما بينهم، وقالت في هذا الصدد: "أستخدم الأنشطة التي تعلمتها في التدريب، فأدعو الطلاب إلى المشاركة في الرسم والتلوين والتصميم. وأود أن أعزز لدى الطلاب حب الوطن وأن أشجعهم على الدراسة وتحديد أهدافهم للمستقبل. وقد بدأ الطلاب يحبون المدرسة الآن ويستمتعون بقضاء وقت أطول معي يتجاوز مدة الدرس البالغة أربعين دقيقة".

وتطرق مدرس التربية الإسلامية محمد هلال أحمد، البالغ من العمر 43 عاماً، إلى الصعوبات التي لا يزال يواجهها مع بعض الطلاب، فقال: "يطرح عليَّ التلاميذ من أربعين إلى خمسين سؤالاً يومياً عن الدين وبعض الأمور الحساسة التي لا تخطر في بال طفل صغير من تلقاء نفسه بل يسمعها من أقاربه الكبار. وقد استفدت كثيراً من الأساليب التي تعلمتها خلال الدورة التدريبية بشأن درء التطرف العنيف، فبت أستخدم في الفصل الدراسي الرسم وغيره من الأساليب التي تساعد في الحد من المشاجرات والمشكلات بين الطلاب. وبات التلاميذ أكثر حماساً لتعلم المزيد والعمل معاً واستغلال طاقاتهم الدفينة".

©اليونسكو/ عبدالله راشد

التدريب المهني

نفّذت اليونسكو، بدعم من الاتحاد الأوروبي، برنامجاً موجهاً للكبار في الموصل بشأن التعليم والتدريب في المجال التقني والمهني، يجمع بين التعليم العام ودراسة التقنيات والعلوم ذات الصلة واكتساب المهارات العملية المفيدة للاندماج في عالم العمل. وعالج المشروع مشكلات النقص في فرص التدريب والنقص في المهارات لدى الشباب العاطلين عن العمل في المناطق الحضرية

واستفاد من البرنامج 2800 متدرب، تمثل النساء نسبة 18% منهم. وتخرج المستفيدون من التدريب التقني والمهني القائم على الكفاءات في مجال البناء، والتحق 80٪ من الخريجين بالتدريب من خلال العمل في الموقع على ترميم وإعادة تأهيل المباني التاريخية.

وتعد المهارات المكتسبة في إطار هذا البرنامج ذات أهمية لقطاع البناء بوجه عام وعززت فرص المتدربين لإيجاد عمل في المستقبل. وتعد مشاريع إعادة بناء المواقع والبيوت التراثية مصدراً رئيسياً لتزويد هؤلاء المتدربين بفرص عمل، فقد استحدثت اليونسكو فعلاً أكثر من 7700 فرصة عمل كجزء من مبادرتها في الموصل.

إعادة تأسيس مجموعة من المهنيين والحرفيين المتخصصين في مجال التراث

نفَّذت اليونسكو أيضاً برنامجاً تدريبياً بالتعاون مع المركز الدولي لدراسة صون الممتلكات الثقافية وترميمها ومع جامعة الموصل، ملبيةً بذلك الحاجة إلى إعادة تأسيس مجموعة من المهنيين والحرفيين المتخصصين في مجال التراث في الموصل، فضلاً عن ضمان مشاركتهم المباشرة في عملية إعادة البناء.

واستهدف البرنامج التدريبي فئتين من العاملين، هما: فئة تضم 50 مهنياً محلياً من المهندسين المعماريين والمهندسين وعلماء الآثار الذين قيموا الأضرار ووثقوها وحددوا عمليات التدخل اللازمة؛ وفئة تضم 70 حرفياً محلياً، أدوا دوراً رئيسياً في التنفيذ الفعلي لأعمال الترميم وإعادة البناء.

وشملت المرحلة الأولى إجراء مسح لمواد البناء وتقنيات البناء التقليدية الأكثر شيوعاً في الموصل، وتقييم كامل للمهن الحرفية في الموصل، من أجل الوقوف على الاحتياجات الفعلية وبخاصة فيما يتعلق بالبناء بالحجر، وترميم المرمر، والجص، والحدادة، والنجارة.

وأُنجز البرنامج الذي استمر لمدة عامين بنجاح، وقامت مجموعة من الخبراء الدوليين المرموقين بتقديم تدريب متخصص وتطبيقي لـ 50 طالباً وطالبة تخرجوا في عام 2023.

تعزيز فرص عمل الشباب المستضعفين في نينوى

قدَّمت جمهورية كوريا التمويل لمشروع تعزيز فرص عمل الشباب المستضعفين في نينوى. وانخرط 100 معلم ومدرب (25% منهم إناث) من مركز التدريب المهني في نينوى ومدرستين مهنيتين، منذ أيلول/سبتمبر 2024، بتعزيز معارفهم في مجال ضمان الجودة. وتلقى 120 معلماً ومدرباً (55% منهم إناث) التدريب في مجال الأساليب التربوية وأساليب التقييم المستندة إلى الكفاءات. واستفاد 400 شاب (40% منهم إناث) من الدورات التدريبية المهنية التي نظمها المشروع حتى اليوم.

وشمل المشروع إعادة تأهيل مدرسة الانتصار المهنية للبنات وبناء ست ورش عمل تابعة لمدرسة نينوى الزراعية ومعهد التدريب المهني في الموصل، وكذلك إنشاء ثلاثة مراكز للتطوير الوظيفي بغية دعم الخريجين وهم على مشارف سوق العمل باحثين عن فرصهم.

الشباب الموصلي يتعلم مهارات جديدة

ريان رياض أحمد، 33 عاماً، خريج معهد تقني. قال ريان: " كنت قد فقدت الأمل عندما تحررت المدينة ولم أتمكن من إيجاد عمل. ولكنني سمعت في عام 2019 عن التعليم والتدريب في المجال التقني والمهني وقدمت طلباً للالتحاق بهذا البرنامج. وتلقيت دعوة بعد شهرين إلى الالتحاق ببرنامج تدريب في قسم البناء مدته 45 يوماً. وتمخضت هذه الفرصة التدريبية عن حصولي على أول وظيفة، موّلتها اليونسكو، بصفة مشرف عمل في شركة شمس الهمام للمقاولات العامة. وأصبحت جاهزاً بعد انتهاء هذا العقد لإيجاد عمل بنفسي. فقدمت طلباً للعمل في شركة سامي حيث أعمل الآن. وقد تحسّنت حياتي حقاً بفعل برنامج التعليم والتدريب في المجال التقني والمهني".

لا يدعم التعليم والتدريب في المجال التقني والمهني سكان المدينة القديمة فحسب، بل يدعم كل سكان الموصل والمنطقة برمتها. وقد أوضحت ريا عيسى، المشرفة على التعليم والتدريب في المجال التقني والمهني، في هذا الصدد ما يلي: "نتلقى أسماء الأشخاص المعنيين من المعهد المهني أو من قاعدة بيانات العاطلين عن العمل. ويمكّن برنامج التعليم والتدريب في المجال التقني والمهني المتدربين من تعلم مهنة جديدة وإعالة أسرهم في الوقت ذاته، ويحصلون أيضاً على مبلغ من المال في إطار البدل اليومي."

يَعرُب سمير، 28 عاماً، حاصل على درجة الماجستير في تقنيات الزراعة، وحصل أيضاً على فرصة عمل من خلال برنامج اليونسكو للتعليم والتدريب في المجال التقني والمهني، وأفاد بما يلي: "التحقت بالبرنامج في أوائل عام 2021 بصفة متدرب. وتلقيت التدريب على صبغ الرخام وترميمه، وتسنى لي التعرف على العديد من الناس وبناء شبكة معارف. وأعمل الآن مستقلاً مع شركة شمس الهمام".

وقال يَعرُب: "عملي هو تزيين الرخام وترميمه وصبغه. وأخبرني رجل يبلغ من العمر 68 عاماً ذات يوم أنه يتذكر كيف كان يحفر الرخام في ساحة منزله بظفره ليترك أثراً للذكرى لأبنائه وأحفاده. فبادرت وأصدقائي إلى إنشاء فريق عمل تطوعي لإنقاذ التراث، للمساعدة في صون تراث الموصل والآثار الموصلية. ونقوم في الفريق بتجديد وإحياء ذكرى الأشخاص الذين ارتبطت ذكراهم بقطع المرمر هذه".

إيمان طه، 27 عاماً، وتعمل أيضاً في مجال المرمر. قالت إيمان، وهي امرأة مطلقة وتعيل طفلها وأطفال شقيقتها المتوفاة ووالدتها: "لم ترق لأمي فكرة عملي في مواقع البناء حيث لا يعمل إلا الرجال عادةً. لكنها سمحت لي بالعمل عندما جاءت في البداية ورأت شابات أخريات يعملن هنا". واتفقت بعد ذلك الشابات اللواتي شاركن في برنامج التعليم والتدريب في المجال التقني والمهني على التعاون على إنشاء عملهن الخاص والمستقل.

الحياة تعود إلى الأزقة المحيطة بجامع النوري في آذار/مارس 2024 في أعقاب عملية إعادة التأهيل.

©اليونسكو/ ميسر نصير

سوق باب السراي في مدينة الموصل القديمة في تشرين الثاني/نوفمبر 2024.

© اليونسكو/هادي النجار

احتفال السكان برأس السنة في خان الكمرك، وهو مبنى تاريخي يعود تاريخه للقرن السابع عشر – كانون الثاني/يناير 2025.

©اليونسكو/ عبدالله راشد

عودة الحياة إلى أحد أسواق مدينة الموصل القديمة في أيلول/سبتمبر 2023 بعد أعمال إعادة الإعمار.

©اليونسكو/ ميسر نصير

سوق الأسماك بالقرب من الجسر الموصل القديم في كانون الأول/ديسمبر 2024.

© اليونسكو/هادي النجار

أضواء كنيسة الساعة تُشعّ مجدداً على شارع نينوى في كانون الأول/ديسمبر 2024.

© اليونسكو/هادي النجار

رجل يصب الشاي للزبائن في مقهى محلي بالمدينة القديمة في كانون الأول/ديسمبر 2024.

© اليونسكو/هادي النجار

جولة طلابية في مركز اليونسكو المجتمعي للمعلومات، في مؤسسة تراث الموصل، في كانون الأول/ديسمبر 2024.

© اليونسكو/هادي النجار

شركاء المبادرة

انضم 15 شريكاً إلى مبادرة اليونسكو، ما أتاح تعبئة 115 مليون دولار أمريكي موزّعة على النحو التالي:

50.4 مليون دولار أمريكي من دولة الإمارات العربية المتحدة

48.2 مليون دولار أمريكي من الاتحاد الأوروبي

أكثر من 16.6 مليون دولار أمريكي من بلدان أخرى ومن أموال واردة من صناديق تابعة لليونسكو، ومنها:

كندا

كرواتيا

اتفاق التعاون بين فرنسا واليونسكو

الحكومة الفلمنكية

ألمانيا

المجر

التحالف الدولي لحماية التراث في مناطق النزاع

إيطاليا

اليابان

ليتوانيا

هولندا

الوكالة الكورية للتعاون الدولي

الوكالة السويدية للتعاون الدولي من أجل التنمية

© اليونسكو/هادي النجار

unesco

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

اطلع على المزيد من المعلومات
عن مبادرة إحياء روح الموصل

جهة الاتصال للشؤون الإعلامية

كلير أوهاغان • c.o-hagan @unesco.org

• +44 7715 99 12 79 • +33 (0) 1 45 68 17 29 •

www.unesco.org

@UNESCO

كانون الثاني/يناير 2025